

ما ذكرنا يقبح كان ضده محموداً وهو استبطان الجزع لما في ذلك من الرحمة والشفقة والفهم بقدر الرزية فصح بهذا أن الاعتدال هو أن يكون المرء جزوع النفس صبور الجسد بمعنى أنه لا يظهر في وجهه ولا في جوارحه شيء من دلائل الجزع . ولو علم ذو الرأي الفاسد ما استضر به من فساد تدبيره في السالف لا ينجح بتركه استعماله فيما يستأنف وبالله التوفيق

✽ فصل في تطالع النفس الى ما يستر عنها من كلام مسموع

أو شيء مرئي أو الى المدح وبقاء الذكر ✽

هذان أمران لا يكاد يسلم منهما أحدهما إلا ساقط المهمة جداً أو من راض نفسه الرياضة التامة وقع قوة نفسه الغضبية قمماً كاملاً أو عانى مداوة شره النفس الى سماع كلام تستر به عنها أو رؤية شيء اكتتم به دونها أن يفكر فيما غاب عنها من هذا النوع في غير موضعه الذي هو فيه بل في أقطار الارض المتباينة فإن اهتم بكل ذلك فهو مجنون تام الجنون عديم العقل البتة . وان لم يهتم لذلك فهل هذا الذي اختفي به عنه الاكسائر ما غاب عنه منه سواء بسواء ولا فرق . ثم انزاد احتجاجاً على هواه فليقل بلسان عقله لنفسه يا نفس

أرأيت ان لم تعلمي ان ههنا شيئاً أخفي عليك أكنت
تطالعين الي معرفة ذلك فلا بد من لا فيقل لنفسه فكوفي
الآن كما كنت تكونين لو لم تعلمي بأن ههنا شيئاً ستر عنك
فتربحي الراحة وطردهم وألم القلق وقبح صفة الشره
وتلك غنائم كثيرة وأرباح جليالة وأعراض فاضلة سنية
يرغب المافل فيها ولا يزهد فيها إلا تام النقص وأما من علق
وهمه وفكره بأن يمد اسمه في البلاد ويبقى ذكره على
الدهر فليتفكر في نفسه وليقل لها يا نفس أرأيت لو ذكرت
بأفضل الذكر في جميع أقطار المعمور أبداً إلى انقضاء
الدهر ثم لم يبلغني ذلك ولا عرفت به أكان لي في ذلك سرور
أو غبطة أم لا فلا بد من لا ولا سبيل الي غيرها ألبتة فاذا
صح ويتقن فليعلم يقيناً أنه اذا مات ولا سبيل له الي علم أنه
يذكر أو انه لا يذكر وكذلك ان كان حياً اذا لم يبلغه ثم
ليتفكر أيضاً في معنيين عظيمين أحدهما كثرة من خلا من
الفضلاء من الانبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم أولاً الذين
لم يبق لهم على أديم الأرض عند أحد من الناس اسم ولا رسم
ولا ذكر ولا خبر ولا أثر بوجه من الوجوه ثم من

الفضلاء الصالحين من أصحاب الانبياء السالفين والزهاد ومن
 الفلاسفة والعلماء والاخيار وملوك الأمم الدائرة وبناة المدن
 الخالية وأتباع الملوك الذين أيضاً قد انقطعت أخبارهم ولم
 يبق لهم عند أحد علم ولا لأحد بهم معرفة أصلاً البتة فهل
 ضر من كان فاضلاً منهم ذلك أو نقص من فضائلهم أو طمس
 من محاسنهم أو حط درجتهم عند بارئهم عز وجل ومن جهل
 هذا الامر فليعلم انه ليس في شيء من الدنيا خبر عن ملوك
 من ملوك الاجيال السالفة أبعد مما بأيدي الناس من تاريخ
 ملوك بني اسرائيل فقط ثم ما بأيدينا من تاريخ ملوك اليونان
 والفرس وكل ذلك لا يتجاوز ألفي عام فأين ذكر من عمر
 الدنيا قبل هؤلاء أليس قد دثر وفني وانقطع ونسي البتة ؟
 وكذلك قال الله تعالى « ورسلاً لم نقصصهم عليك » وقال
 تعالى « وقرونا بين ذلك كثيراً » وقال تعالى « والذين من
 بعدهم لا يعلمهم إلا الله » فهل الانسان وان ذكر برهة من
 الدهر الا كان خلا قبل من الامم الغابرة الذين ذكروا ثم
 نسوا جملة . ثم ليتفكر الانسان في من ذكر بخير أو بشر
 هل يزيد ذلك عند الله عز وجل درجة أو يكسبه فضيلة لم

يكن حازها بفعله أيام حياته فاذا كان هذا كما قلناه فالرغبة في
الذكر رغبة غرور ولا معنى له ولا فائدة فيه أصلاً لكن انما
ينبغي أن يرغب الانسان العاقل في الاستكثار من الفضائل
وأعمال البر التي يستحق من هي فيه الذكر الجميل والثناء
الحسن والمدح وحميد الصفة فهي التي تُقرِّبه من بارئه تعالى
وتجعله مذكوراً عنده عز وجل الذكر الذي ينفعه ويحصل
على بقاء فائدته ولا يبيد أبداً وبالله تعالى التوفيق

شكر المنعم فرض واجب وانما ذلك بالمقارضة له بمثل
ما أحسن فاكثرتهم بأثمهم بأموره والتأني بحسن الدفاع عنه
ثم بالوفاء له حياً وميتاً وان يتصل به من ساقية وأهل كذلك
ثم بالتمادي على وده وانصيحته ونشر محاسنه بالصدق وطبي
مساويه ما دمت حياً وتورث ذلك عقبك وأهل وذلك .
وليس من الشكر عونه على الآثام وترك نصيحته فيما يوتغ
به دينه وديناه بل من عاون من أحسن اليه على باطل فقد
غشه وكفر إحسانه وظلمه وجحد انعامه وأيضاً فان احسان
الله تعالى وإنعامه على كل حال أعظم وأقدم وأهنأ من نعمة
كل منعم دونه عز وجل فهو تعالى الذي شق لنا الابصار

الناظرة وفتق فينا الآذان السامعة ومنحنا الحواس الفاضلة
ورزقنا النطق والتميز اللذين بهما استأهلنا أن يخاطبنا وسخر
لنا ما في السموات وما في الأرض من الكواكب والعناصر
ولم يفضّل علينا من خلقه شيئاً غير الملائكة المقدسين الذين هم
عمّار السموات فقط. فأين تقع نعم المنعمين من هذه النعم فمن
قدر أنه يشكر محسناً إليه بمساعدته على باطل أو بمجاابته فيما
لا يجوز فقد كفر نعمة أعظم المنعمين وجحد احسان أجل
المحسنين إليه ولم يشكر ولي الشكر حقاً ولا حمد أهل الحمد
أصلاً وهو الله عز وجل ومن حال بين الحسن إليه وبين
الباطل وأقامه على مرّ الحق فقد شكره حقاً وأدّى واجب
حقه عليه مستوفى والله الحمد أولاً وآخراً وهى كل حال

فصل في حضور مجالس العلم

إذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور
مستزيد علماً وأجراً لا حضور مستغن بما عندك طالباً عمرة
تشيّعها أو غريبة تشنعها فهذه أفعال الأرفال الذين لا يفتاحون
في العلم أبداً فإذا حضرتها على هذه النية فقد حسبت خيراً
على كل حال وإن لم تحضرها على هذه النية فلو سلك في